إضاءة

جان باتيست بيلو نُسي الاسمُ وبقي «المنجد»

في علمنة المعاجم العربية

إن كان الأب اليسوعي جان - باتيست بيلو (1822 - 1904) قد اكتشف العالم العربي ولغته في ظلّ الاحتلال الفرنسي للجزائر، فإنّه سرعان ما تحوّل إلى واحد من مراجع الضادّ في زمانه. مسيرةٌ طويلة في نشر الفصحى ما تزال بحاجة إلى الدرس والمراجعة

نجم الدين خلف الله

حلّ الأب اليسوعيّ، جان - باتيست بيلو (1822 - 1904)، بالجزائر قادمًا إليها من فرنسا حواليْ سنة 1844، أيْ في الحِقبة الأولى من الاحتلال الفرنسيّ لهذا البلد. واشتغل هناك، ضمن السّياق العسكريّ الذي رافق بسْط النّفوذ الاستعماريّ، أستاذًا للنحو الفرنسي في دارٍ للأيتام ببلدة بن أكنون، قربَ الجزائر العاصمة، ثم في مدينة القسطنطينية. وفي تلك الأثناء، تعلّم مبادئ اللّغة العربيّة. ولمّا عاد إلى باريس واصل دراستَه لها، في «معهد اللغات الشرقيّة» حتى تمكّن من ناصيتها وألّف أول كتاب له بعنوان: «مَبادئ في النحو العربي» (1849)، نسجًا على منوال أستاذه سيلفستر دو ساسي (1758 - 1838) الذي كان صديقَ رافع الطهطاوي وأستاذَه.

وبعد ذلك، توجّه بيلو إلى لبنان ليستقرّ في بيروت (1867) حيث تولّى إدارةَ «المطبعة الكاثوليكيّة» التي سخّرت إمكانياتها لنشر أعماله اللغوية، إلى جانب إصدار مجلّة «المَشرق» التي كان أسّسَها وأدارها الأب لويس شيخو (1859 - 1927)، فضلًا عن مجلّة «البشير» التي كانت تَصدر أسبوعيًا والتي تعدّ أوّلَ جريدة مسيحيّة بلغة الضاد. كما شارك في صياغة نُسخة جديدة من الإنجيل باللسان العربيّ (1875).

وكان لأعماله صدىً كبيرٌ لدى أجيال متعاقبة من متعلّمي العربية آنذاك، ومن هذه الأعمال: «منهج للمحاورة الشفويّة» (1871)، و«نُخب المُلح» الذي أصدره مع الأب رودي (1875 - 1877) والذي ظلّ مستخدمًا إلى جانب «الفرائد الدريّة» (1882) للأب شيخو. وكذلك «المفردات العربيّة - الفرنسيّة»، الذي وجّهه إلى الطلاب وكان الهدف منه شرح الكلمات الفصيحة المُتداولَة في الكتب الأدبيّة والدينيّة الدائرة بينهم، إلى جانب تفسير مُفردات الأناجيل وترجمتها. وفي سنة 1896 كلّل أعماله بـ«الدروس الميسّرة في اللغة العربية»، خاتمًا بذلك مسيرةً طويلة من الجهود في نَشر اللغة الفصحى لدى جمهور واسعٍ من غير الناطقين بها.

ويبقى عمله الأهم المُعجم المزدوج الفرنسي - العربي (1890)، في جزأيْن، والذي اعتمد في صياغته على «القاموس المُختَصر» الذي كان قد وضعه الأب جوزيف هوري (1867)، ولكنّه لم يَشتهر بين الناس. فما لبث بيلو أن طوَّره وزاد فيه مئات المداخل المعجميّة، وصدّره بمقدّمة.

ويؤكّد بيلو في هذه المقدّمة أنّه أنجز هذا المعجم من أجل تيسير أبحاث الطلاب وتدقيق المعاني لديهم، وتقديم المُقابلات الصّحيحة للمفردات الفرنسيّة، في مسعىً لتجنُّب النزعة التقريبيّة السائدة في الأعمال المُعجميّة المعاصِرة له، ولا سيّما في مُعجم إدوارد غاسلان (1840 - 1900)، الذي اعتبره بمثابة «محيط من الكَلِم يَضيع الطالب بين أمواجه ويتيه بين تَفاصيله المُضنية»، حيث كان غاسلان يكتب الكلمة العربية ومقابلها الصوتي

في مدينة خيوة، سابقاً خوارزم، بأوزبكستان (Getty)

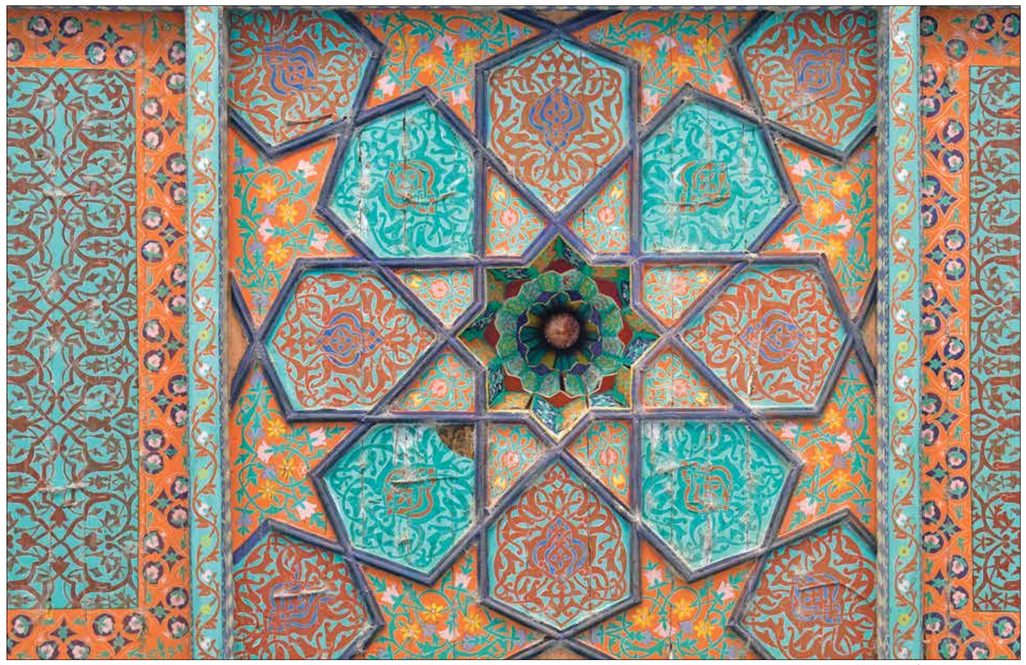

(الفونيتيكي) ومعناها باللّغتين... ويضيف بيلو أنّ كتابه يتوجّه، بنفس الدرجة، إلى الطلبة العَرب الذين «يتشوّقون إلى معرفة المقابلات الفرنسية». وقد التزم فيه بوَضع المرادفات العربيّة العديدة لكلّ كلمة فرنسية واحدة، حتّى يُطلع القارئ على التراث المعجميّ الثريّ ويكتشف الفوارق بين تلك المترادفات.

هذا وقد ركّز بيلو على تسجيل المصطلحات ذات الطابع الإداري والقانوني التي بدأت تشيع في العواصم العربية بعد تحديث الإدارات في ظلّ السلطات الاستعمارية التي فرضت نماذجها في الإدارة والقانون والاقتصاد الرأسمالي. كما دوّن المعاني والعبارات الجاهزة والتداولات الاعتياديّة، إلى جانب أسماء الأعلام ممّن نبغوا في التاريخ العربي، ليكون معجمه أقرب إلى مَوسوعة مُيسّرة تمدّ الباحثين بأهمّ ما يحتاجونه من معارف معجمية معاصرة. وقد أضيف له مُلحق به العديد من المفردات التي سقطت أثناء التحرير الأوّل.

وظلّ هذا الكتاب في قائمة الأعمال المعجميّة المزدوجة طيلة ما يربو على السّتّين عامًا دون منازع. وبعد ذلك، لا أحدَ يدري أيّةُ لعنةٍ حلّت بهذا العمل الدقيق، حيث امّحى منه اسمُ جان. باتيست بيلو نهائيًا، مع أنه كان أكثر المعاجم المزدوجة اشتهارًا وشيوعًا. وهذه القصّة من الغرابة والعَجب بحيث لا بدّ وأن تسجّل للتاريخ، ذلك أنّ الأب رافائيل نَخلة اليسوعي «استولى» على هذا المعجم سنة 1952 وأصدر منه ما ادّعى أنه «طبعة جديدة مُعدّلة كلّيًا»، بعد أن غَيّرَ اسمَه وخطّة ترتيب المفردات فيه فصار يحمل عنوان: «المنجد»، وهو السائد اليوم بين الناس في طبعاته العديدة. فهل هذا من قبيل السّرقة الأدبية التي صمتت عليها الناس؟ أم أنَّ إعادة الطبع في مجلّد واحدٍ تشفع لنسبته إليه بعد أن قامَ بتعديل موادّه وترتيبها وإضافة أخرى لها؟

> أثّرت أعماله على أجيال متعاقبة من متعلّمي العربية

> امّحى اسم معجمه وراء «المنجد» الذي لم يكن إلّا طبعة منه

في كلّ الحالات، يتوجّه هذا المعجم إلى المستشير المتعجّل الذي يودّ معرفة المقابل العربي للفظ الفرنسي دون أن يتيه في التعريفات والتعليقات النحويّة والصرفيّة، كتلك التي كان تَغرق فيها المعاجم المطوّلة، فهو أقرب إلى الاستخدام المدرسيّ بشكله وغاياته. ويتنزّل هذا العمل ضمن المجهودات التي قام بها الآباء المسيحيّون في خدمة التراث المعجمي العربي وتطوير العربية المُعاصرة شكلًا ومضمونًا، ومن أشهر الآباء الذين اشتغلوا في هذا المضمار: فيليب كوش، وجوزف غابريل هافا، وقد خصّص لهما المستعرب هنري فلايش مقالًا قيّمًا بمجلّة «أرابيكا» (1963).

إلّا أنّ هذه الأعمال تطرح قضيّة العلاقة الحسّاسة بين الخلفيّة الدينيّة والاختيارات المعجمية ومحتوى التعريف وكيفية إثبات الشواهد وآليات ضَبط المعنى وإثبات حجيّته. حيث تلازمت خدمة الضاد ومفرداتها، لدى هؤلاء الآباء اليسوعيين، مع ترجمات الكتاب المقدس والعهد القديم، فركّزوا على العديد من المفردات ذات الصلة الوثيقة بالفضاء المسيحي ودوائره الاصطلاحية والمفهومية مثل: «البشارة»، «كرازة»، «أسقف»، «أقنوم»، وغيرها عشرات ممّا لا يُحيل على مرجعية واضحة لدى مُستشيري المُعجم من غير المسيحيين.

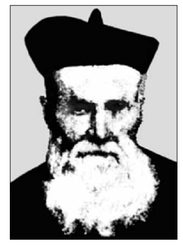

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

أحكام جاهزة

لكي نفهم مساهمة جان باتيست بيلو (الصورة) في الثقافة العربية علينا أن نترك جانباً ما يروج عن ربط المنجزات المعجمية بالانتماءات الدينية، كالقول بأن قداسة العربية لدى المسلمين قد أعاقت الجهود البحثية في اللغة، ومنها الصناعة المعجمية. تمنع مثل هذه الأحكام الجاهزة من فهم إشكاليات كثيرة في تاريخ اللغة العربية، والتي لا يمكن فصل تطوّراتها عن التراث الديني بصيغتيه الإسلامية والمسيحية.

إطلالة

خطواتٌ سريعة نحو تأصيل الهمجيّة

ماذا عن القرن الواحد والعشرين؟

قرنٌ مرشّح ليكون ساحة صراع بين مفاهيم الحرّية والتكافل الإنساني، وبين تيّارات القومية المتشنّجة والثقافة المنحازة والتفوّق الحضاري

فوّاز حداد

«إذا كان القرن السابع عشر هو قرن الرياضيات، والقرن الثامن عشر قرن الفيزياء، والقرن التاسع عشر قرن البيولوجيا، فإن القرن العشرين هو قرن الخوف». هذا حسب الروائي الفرنسي ألبير كامو. ما نعرفه فعلًا، ونتذكّره، ولم ننسه بعد، هو أن الخوف قد هيمن على القرن العشرين. فخلاله ظهرت أربعة أنظمة شمولية؛ الستالينية والنازية والفاشية والصينية، إضافة إلى حربين عالميّتين، امتدّتا من أوروبا إلى قارّات العالم الأخرى. ضحايا هذا القرن زادت عن مائتي مليون، وخراب بلدان وعواصم ومدن. كان العالم خائفًا، حتّى أن الحرب الباردة لم تكن باردة؛ كانت مرعبة، هدّدت البشرية بحرب نووية. وإن لم تكن أكثر من حرب جواسيس، فالبشر كانوا تحت رقابة الأعداء من الطرفين.

ماذا عن القرن الواحد والعشرين؟ هل سيشهد انتشار الحرّيات، بعد سقوط جدار برلين، وانهيار الاتّحاد السوفييتي وتمزّقه، وانفراط عقد تكتّل اشتراكيات شرق أوروبا، أم عودة الدكتاتوريات؟

كان المتوقّع انتشار الحرّيات؛ بدأت بوادره أواخر القرن الماضي بالثورات المخملية والملوّنة التي عمّت أوروبا. غنيٌّ عن البيان، في هذا القرن ترسّخت حرّيات المثليّين في الغرب، بإجراءات طاولت الزواج والتبنّي والتمتّع بالعلنية بحماية القانون. وكان من المتوقّع أيضًا الانتصار النهائي للديمقراطية كنظام وحيد يشمل العالم؛ بذلك ينتهي التاريخ، لكنّ التراجعات بدأت من روسيا، بانتهاج نظامٍ ليس دكتاتوريًا ولا ديمقراطيًا، كان مزيجًا منهما. وهو ما سوف تسير على خطاه بعض الدول: مظهر ديمقراطي وفي الحقيقة دكتاتوري، وكأن الديمقراطية تتلخّص ببرلمان يمكن السيطرة عليه، وانتخابات قابلة للتزوير. والأسوأ تعالي أصوات العنصريات في أغلب بلدان الديمقراطيات، فالحرّيات سمحت بإطلاق نيران العداوات على أنها حرّية رأي، ولو أدّت إلى سقوط ضحايا، أو إلى تغيير أنظمة حكم، ما شكّل تراجعًا عن قيَم حضارية عانت البشرية طويلًا حتى وضعت لها الأسس، بعد ثورات دامية وتجارب ومِحَن دفعت أثمانها باهظةً.

كأنّ لكلّ حدثٍ ما يعاكسه، ليس من الضروري أن يكون ردًّا عليه. فالعالم كما يبدو لا يكسر قيوده، قدر ما يستعيد القديمة، كأنما الحنين يستجرّه إليها، أو يبتدع قيودًا جديدة. فالبشرية ليست في تقدُّم دائم، بل في تقدُّم وتراجع. والتقدُّم مهدَّدٌ بالمخاوف، تأتي اليوم من الغرب الذي كان يشكّل ضمانة لحرّية الفرد، بينما هو يتنصّل منها، على أمل أن تكون حِكرًا عليه، وبينما يكاد يتخلّى عنها، قد تخسرها شعوبه، مع تزايد نزعات الكراهيات.

لم يشهد العالم هذا القدر من انتشار الشعبوية ضد المهاجرين؛ تبدو أشبه بجائحة لم تستثنِ بلدًا. لبنان مثلًا، رغم ما يجمعه مع السوريين من أواصر - أحدها النقمة على نظام قاسٍ عانى منه كلاهما. ففي البلد الشقيق تتصاعد دعوات عنصرية تطالب بطردهم مع توفير الاعتداء عليهم. كذلك في أوروبا، حيث استثمرت الأحزاب اليمينية المتطرّفة دعاياتها الانتخابية بالتخلُّص منهم في فرنسا وهنغاريا والنرويج والدنمارك وهولندا وأيضًا تركيا. ولم تقصّر غيرها من البلدان، فالدعوات الشعبوية المضادّة للمهاجرين قابلة للعدوى، تقدّم مادّة لتحميلهم خسائر وكوارث اقتصادية مع انتقادات استفزازية حضارية وأخلاقية مجحفة، ترافقها اعتداءات فردية متبادلة. وبدلًا من التعاطف معهم ومساعدتهم، تحرّض الأحزاب اليمينية عليهم، وتُظهر تأييدها للأنظمة الدكتاتورية التي كانت سبب مغادرتهم بلدانَهم.

طبعًا، لا بدّ من التأكيد على أن الكثير من الحكومات والأحزاب أبدت تعاطفها مع اللّاجئين، ولعبت أدوارًا مناهضة لطردهم وإيذائهم، ولولاهم لجرى إلقاؤهم في البحر، أو أعيدوا إلى بلدانهم رغمًا عنهم، مع معرفة أن الذي سيستقبلهم حواجزُ النظام، والاعتقال قيد التوقيف، ريثما يجري التحقيق معهم، بانتظار السجون والمحاكمات، وربما الإعدام أو احتجازهم سنواتٍ طويلة، إنْ لم يُضيّق عليهم ويُوضَعوا تحت المراقبة.

> لم يسبق أن شهد العالم هذا القدر من الشعبوية ضد المهاجرين

هذا القرن مرشّحٌ ليكون قرن الصراع بين مفاهيم الحرّية والتكافل الإنساني والتقدّم الحضاري الذي أحرزته البشرية، وبين تيّارات تحمل مجموعة من المفاهيم: من القومية المتشنّجة، والعزلة المتنفّجة، والثقافة المنحازة، والتفوّق الحضاري... ستتذرّع بها الأحزاب، وتجد مَن يستمع إليها، ولن يكون تفسيرُها يقلّ إن لم يجارِ ويشابه دعواتِ النقاء العرقي، تحت دعاوى قديمة مهزومة عن أعراقٍ عُليا حضارية ذات ثقافة متقدّمة، في مواجهة أعراقٍ دنيا ذات ثقافة متخلفة. هذه النزعاتُ المريضة، تعمل عليها هويّاتٌ أنانية، يدعمها عِلمٌ مشبوه، وثقافة منحطّة، وعلمانية متحجّرة، ودعوات انعزالية.

إذا كان هذا ما يبشّر به القرن الواحد والعشرون، فقد خطا هذا القرن خطوات سريعة نحو تأصيل الهمجيّة.

(روائي من سورية)

«أطفال مختبئون» لـ فايث رينغولد، 1966

صوت جديد

من المبكر الحديث عن ملامح واضحة لجيلنا

حنين الصايغ

حنين الصايغ (العربي الجديد)

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

بيروت - **العربي الجديد**

■ كيف تفهمين الكتابة الجديدة؟

كلّ كتابة هي تعبير عن روح عصرها وتكملة لأسلوب الحياة الذي يعيشه الكاتب. الكتابة الجديدة خرجت بشكل كبير من القضايا الجماعية الكبرى وأصبحت معنية بتجارب فردية تعبّر عن الحالة الخاصّة لوجدان الكاتب وهمومه ومشاغله.

■ هل تشعرين نفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

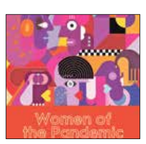

أظنّ أنّ عنصر الوقت مهمّ في كشف وبلورة مراحل كلّ جيل وأنه من المبكر الحديث عن ملامح واضحة لجيلنا. لكنّ ما ذكرته سابقاً بشأن ترك القضايا الكبرى والتوجّه إلى الفردية أصبح سمة واضحة.

■ كيف هي علاقتكِ مع الأجيال السابقة؟

الأجيال السابقة والأعمال السابقة، سواء أحببناها أم لا، تبقى حجر أساس في تكوين لغتنا ووجداننا ووعينا الأدبي. أحبّ أن واحداً من أفضل كتّابي على الإطلاق هو كاتب لبناني: ميخائيل نعيمة.

■ كيف تصفين علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

أنا انطوائية بطبعي، وهذا يجعل دائرة معارفي ضيّقة جداً، وحضوري الأمسيات والمناسبات الثقافية يكاد يكون منعدماً. عدا عن ذلك، فأنا أحترم الجميع.

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟

صدر ديوان «فليكن» عن «الدار العربية للعلوم. ناشرون» وأنا في التاسعة والعشرين من عمري. كنت قد بدأت الكتابة في أوّل العشرينيات، ولكنّ فكرة النشر ودخول الوسط الأدبي لم تكن مطروحة حتى نصحني بعض الشعراء الذين يكبرونني سنّاً وخِبرة أنه آن الأوان كي أشارك تجربتي مع الآخرين، وهذا ما حدث.

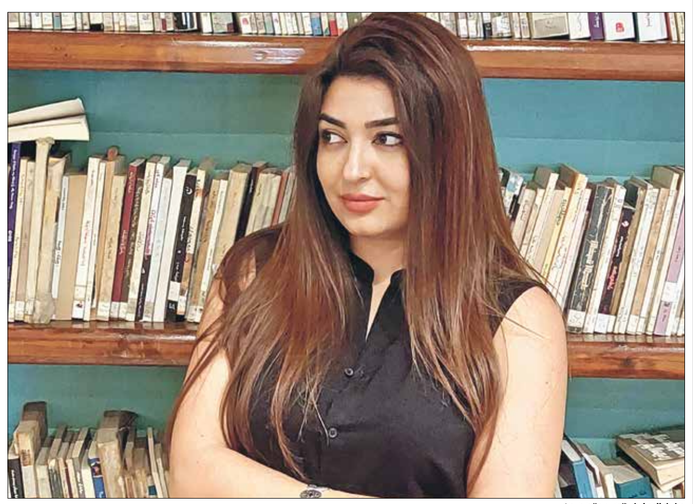

> أحبّ أن أُبقي القراءة والكتابة بعيدتين عن إطار «الواجب»

■ أين تنشرين؟

أنشر على صفحاتي في مواقع التواصل الاجتماعي وفي بعض الصحف والمواقع الإلكترونية حين يُطلَب منّي.

■ كيف تقرئين وكيف تصفين علاقتك مع القراءة: منهجية، مخطّطة، عفوية، عشوائية؟

أحبّ أن أعامل القراءة كما أعامل الكتابة. وسط كل الضغوط والواجبات الحياتية أحبّ أن أُبقي القراءة والكتابة بعيدتين عن إطار «الواجب». أقرأ بمزاجية وقد أعيد قراءة كتاب أو رواية أكثر من مرّة، بينما أتوقّف عن قراءة عمل مشهور جدّاً في أوله، وأتصالح مع فكرة أنني لم أحبّه بمعزل عمّا يظنّه الجميع.

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

بطاقة

شاعرة لبنانية من مواليد عام 1988. حاصلة على إجازة في اللغة الإنكليزية وآدابها، وشهادة ماجستير في تدريس مناهج اللغة الإنكليزية من الجامعة الأميركية في بيروت. تعمل في التدريس والترجمة الأدبية. صدرت لها ثلاث مجموعات شعرية: «فليكن» (2016)، «روح قديمة» (2018)، و«منارات لتضليل الوقت» الصادرة حديثاً عن «دار النهضة العربية» في بيروت.

فعاليات

يُعرض في «مؤسسة عبد الحميد شومان» بعمّان، عند السادسة والنصف من مساء اليوم، فيلم **قضية ماتي** (1972) للمخرج **فرانشيسكو روزي**. يبحث العمل في سيرة الصناعي الإيطالي إنريكو ماتي، الذي لا يزال الغموض يكتنف رحيله في حادث تحطُّم طائرة عام 1962، مُحاوِلاً الإجابة إنْ كان ذلك حادثاً أو اغتيالاً.

ميراث موسيقي هو عنوان المعرض الذي افتتح مساء السبت الماضي في «المتحف الوطني للفنون الجميلة» بعمّان ويتواصل حتى مساء يوم الإثنين الأول من تشرين الثاني/نوفمبر المقبل. يضمّ المعرض خمس عشرة مقطوعة موسيقية لفنانين عرب منهم **أمل زين** (الصورة) من الجزائر، و**محمد آدم** من السودان، و**غسان سحاب** من لبنان، و**حجار زهاوي** من العراق.

ابتداءً من يوم غدٍ حتى يوم بعد غدٍ، تستضيف «المؤسّسة العامّة للحي الثقافي كتارا» بالدوحة فعاليات الدورة الثالثة من **مهرجان قطر الدولي للفنون**، والتي يشارك فيها نحو 300 فنّان من 65 بلداً. يضمُّ برنامج التظاهرة معارضَ للرسم والنحت، وجلساتٍ نقاشية، وجولاتٍ ثقافية.

في «دار الثقافة نوّار بوبكر» بأم البواقي، شرق الجزائر، تنطلق اليوم **الأيام الوطنية السينمائية لفيلم التراث**، و تستمر حتى الجمعة المقبل بمشاركة 19 فيلماً قصيراً تتناول التراث المادي وغير المادي في الجزائر، و تتنافس على جائزة أفضل فيلم قصير، كما يُقام على الهامش عدد من الورش التدريبية.